هل وقع في القرآن الكريم ترادف ؟

الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

الترادف : مصدر لفعل ترادف ، وثلاثية : (ردف) بمعنى : تبع ، وكل شيء تبع شيئاً ، فهو ردفه ، فالترادف : التتابع[1] . وعلى هذا فالترادف _ في المصطلح _ هو (توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)[2] ، وعبر عنه الجرجاني في مكان آخر من (تعريفاته) بأنه : ما كان معناه واحداً ، وأسماؤه كثيرة[3] .

ولم يبن من التعريف للمصطلح الفرق بين المفردات من حيث كونها أسماء أو ذواتاً أو صفات ، بل شمل كل ذلك من غير تحديد لنوع تلك المفردات المترادفات .

ومن خلال تحديد محمد المبارك للترادف ، يبين لنا أنه يدخل في المفردات ما كان مشتقاً وصفة ، أو اسم ذات ، يقول : (إن للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة ، ويمكن أن يسمى بأكثر من صفة من صفاته ، وأن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة ، تبعاً لتلك الوجوه والصفات ، ومن هنا ينشأ الترادف)[4] .

على أننا إذا أردنا أن نحدد مفهوم الترادف بشكل أكثر دقة ، وجب أن نبعد المفردات المشتقة الدالة على الوصف ، وأن نجعل ما كان من الأسماء ذواتاً أو ألفاظاً جامدة تلتقي على المعنى الواحد ، وان اختلفت الأشكال هي المعنى الحقيقي للترادف وذلك نحو : (القمح ، والبر ، والحنطة) .

---

(١) المحمل: (ردف): ٤٢٧.

(٢) أنظر: التعريفات: الجرجاني: ٤٩ وص: ٣٧.

(٣) نفسه: ١٧٥.

(٤) فقه اللغة: ١٩٩.

وقد كان المتقدمون من اللغويين يخرجون من باب الترادف ما كان من المتباين، أو كان من الحدود، أو توكيداً أو تابعاً أو مصطلحاً[(١)]، أو وصفاً مشتقاً.

ولقد ضيق بعضهم حدود هذه الظاهرة في مفردات اللغة، فرفض أن تكون من سمات العربية وسنتها، وأنكر وجودها، وفي المزهر: أن من الناس من أنكر الترادف وزعم أن كل ما يظن من المترادفات، فهو من المتباينات، إما لأن احدهما اسم للذات، والآخر اسم للصفة أو صفة الصفة... ونقل عن التاج السبكي أن مما يتباين في الصفة لفظي: الإنسان والبشر، فالأول موضوع له: (باعتبار النسيان أو باعتبار أنه يؤنس به، والثاني: باعتبار أنه بادي البشرة، وكالخندريس والعقار، فإن الأول باعتبار العتق، والثاني باعتبار عقر الدن لشدتها)[(٢)].

وكان ما ذكره السبكي مذهب المبرد: (٢٨٥هـ)، وثعلب (٢٩١هـ)، والعسكري: (٤٠٠هـ)، وابن فارس: (٣٩٦هـ)، وأبي علي الفارسي: (٣٧٧هـ)، وكثيرين غيرهم.

والعسكري في كتابه (الفرق) يجعل المفردة ذات دلالة خاصة تختلف عن المفردة الثانية التي يحسبها المرء مرادفة للأولى)

وعنده (أن كل لفظة منهما تقتضي خلاف ما تقتضيه الأخرى)[(٣)].

ولذلك لم ير المبرد في قوله تعالى: ﴿ولكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا﴾[(٤)] ترادفاً بين (شرعة) و (منهاج) فجاءت المفردة الثانية (منهاجاً) معطوفة على (شرعة) للفصل بينهما، قال لأن الشرعة: (لأول الشيء والمنهاج لعظمه ومتسعه) واستشهد على ذلك بقوله: (شرع فلان في كذا، إذا ابتدأه، وأنهج البلى في الثوب، إذا اتسع فيه)[(٥)].

---

(١) أنظر: المزهر: ١/١٩٤، وص٤٩.

(٢) المزهر: ١/١٩٥ ط: بولاق.

(٣) الفروق: العسكري: ١٥-١٦.

(٤) المائدة: ٤٨.

(٥) الفروق: ص: ١٣.

والعسكري يرجع اختلاف المعاني بين الألفاظ إلى أسباب كثيرة، وإذا كان هناك لقاء في الدلالة بين مفردة وأخرى، فإنما ذلك راجع إلى اختلاف اللهجات وإلا (فمحال أن يختلف اللفظان - في لغة واحدة - والمعنى واحد)[١].

ومثله ابن فارس، فيرى أن الشيء الواحد: (يسمى بالأسماء المختلفة، نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد، وهو السيف، وما بعده من الألفاظ صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها، معناها غير معنى الأخرى)[٢] ومن المحدثين من يرى ذلك أيضاً[٣].

والذين يقرون بوجود ظاهرة الترادف يرون أنه من سنن العربية، وأنه ميزة تتصف بها من سائر لغات العالم، وهي ظاهرة واضحة في الحروف والأسماء والأفعال، وممن يؤمن بها أبو الفتح ابن خالويه: (٣٧٠هـ)، فيحكى عنه أنه تحدث أمام أبي علي الفارسي: (٣٧٧هـ) فذكر أنه يعرف للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو علي، وقال: (ما أحفظ له إلا اسماً واحداً، وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم، وكذا وكذا؟ قال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة)[٤].

وحاول الباحثون الأوروبيون تقصي حقيقة الترادف في العربية، فوجد بعضهم أنها ظاهرة موجودة، كالباحث رينان ودوهاجر وغيرهما[٥]

ومع هذا الاختلاف في حقيقة الترادف، فإن ثمة مسألة شغلت بال الباحثين، وهي: هل يمكن أن يقع الترادف - إذا كان سنة من سنن العربية كما يذهب المؤيدون - في آيات اله تعالى، مع الإقرار بأن كل مفردة في القرآن الكريم قد وضعت لمعنى وحكم لا تصلح كلمة أخرى في موضعها ولا تسد مسدها؟!.

لقد سبقت الإشارة إلى أن المبرد رأى في لفظتي (شرعة) و (منهاجاً) من قوله تعالى المذكور اختلافاً دلالياً دقيقاً، وأن إحداهما لا يمكن أن تحل محل الثانية،

---

(١) الفروق: ١٥.

(٢) الصاحبي: ٦٥.

(٣) وهو لو يس شيخو في علم الأدب: ٢٦.

(٤) المزهر: ١/١٩٦.

(٥) انظر: فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي: ١٦٢-١٦٣ وكتابنا: أبحاث ونصوص: ص ٢٣٤ فما بعد.

ولا تسد مسدها، ولذلك أورد الله تعالى اللفظتين في موضع واحد، ليجمع بين بدء الشريعة، وأولياتها في لفظ (شرعة)، واتساع الشريعة وانتشارها في لفظ (منهاج) الذي يحمل معاني متعددة كالوضوح والاستبانة، والسلوك والاستقامة والانبهار وغير ذلك من الدلالات[1].

وليس تحت لفظة (شرع) ودلالاتها ما يندرج تحت دلالات (نهج) فمادة: (ش ر ع) ينضوي تحتها من المعاني: ورود الماء، والطريق الأعظم، والخوض في الماء والاستواء.

وما شرع الله تعالى لعباده من الدين[2].

فمن مجموع دلالات (شرع) و(نهج) تكتمل صورة للعقيدة الإسلامية، في بدئها، بكونها مشرعة يرتوي منها المسلمون، ويستمدون مبادئ دينهم ومعتقدهم، ثم الأيلولة إلى اتخاذ هذه المبادئ والقيم منهجاً وطريقاً يسلكونه، ويلتزمونه، ولا ينحرفون عنه.

والقرآن الكريم دقيق التعبير، يرمي من وراء استعمال المفردة دلالة محكمة، لا يداخلها ارتجاج ولا ضعف، على عكس الأديب والشاعر والخطيب وكاتب البحث والمقالة، فإنّ أحداً من هؤلاء لا يكتب من أجل أفكار مجردة، ومعلومات محدودة، فحين يستعمل الألفاظ المترادفة، يرمي إلى التنويع، والإثارة والتعبير عن الانفعالات، والمواقف النفسية المختلفة ليدل على قدرته البشرية، وطاقته التعبيرية التي تميزه من سائر الكتاب والأدباء، فهو يجانس ويطابق ويقابل، بحسب مقتضيات الظرف الذي هو فيه، أو الحالة النفسية التي يعبر عنها.

ومن هنا نجد أن ألفاظ القرآن لها مكانها في التعبير، مراعاة للأفكار، والتشريعات والأحكام، فالمفردة - كما يقول الدكتور أحمد بدوي - واقعة في المكان الذي: (خلقت له تلك الكلمة بعينها، وإن كلمة أخرى لا تستطيع أن تفي بالمعنى الذي وفت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي بعينها من المعنى أقوى أداء: ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً)[3].

---

(١) اللسان (نهج): ٣/٢٠٦ (بولاق).

(٢) مختار الصحاح: (شرع): ٣٣٥.

(٣) من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي: ص٥٧، ط: مكتبة مصر - بالفجالة: ١٩٥٠/ ١٣٧٠هـ.

وهذا نفسه هو ما ذهبت إليه الدكتورة بنت الشاطئ[١].

حين وضعت البيان القرآني، ودقة التعبير فيه تقول: (البيان القرآني، يجب أن يكون القول الفصل، فيما اختلفوا فيه حين يهدي إلى سر الكلمة التي لا يقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها)! ولذلك تنكر وجود الترادف في القرآن، وتجعل من مذاهب المتقدمين أساساً للقول بالإنكار، ولا سيما الذين يرون أن الترادف لا يأتي إلا في لغتين، (أما أن يأتي في لغة واحدة، فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد)، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين[٢].

وإذا كان القراء قد اختلفوا في الإتيان بمفردة في قراءة تختلف في جذرها عن مفردة أخرى تعطي دلالتها نفسها، كما قرؤوا: (فتبينوا) و(تثبتوا)، فإن أمثال هذه القراءات، لا تدخل في ضمن (الترادف) لأمور: ـ

أ ـ إن القراءة تتناول مفردة واحدة من المفردتين، والترادف يقتضي ورود المفردتين في موضع واحد كما في: (شرعةً ومنهاجاً).

ب ـ إن ثمة تواتراً وصحة وشذوذاً في القراءات، والحكم لا ينطبق إلا على ما صح وتواتر.

ج ـ إن الاختلاف في القراءة بين القراء إذا أدى إلى اختلاف وجوه القراءة غير محمود، وقد نص الحديث النبوي: (لا تماروا في القرآن، فإن المراءفيه كفر)[٣]، ويريد الحديث أن لا يختلف القراء في الألفاظ، وذلك أن يقول الرجل: أنا أقرأ القراءة على حرف كذا، فيقول له الآخر: ليس هكذا، ولكنه هكذا على خلافه.

ومن الباحثين من يذهب إلى أن الترادف في القرآن قد وقع في ألفاظ كثيرة، ورد على المفسرين ادعاءهم بأن الترادف ممتنع وقوعه فيه، يقول إبراهيم أنيس: (أما الترادف فقد وقع بكثرة في ألفاظ القرآن، على الرغم من محاولة بعض

---

(١) من أسرار العربية في البيان القرآني: ص٢٠ مجلة اللسان: م٨/ج١: ١٩٧١ ـ المغرب.

(٢) انظر: الإعجاز البياني للقرآن: د. عائشة عبد الرحمن، مجلة اللسان: م٨/ج١/ سنة: ١٩٧١، ص:٢٣ـ٢٤.

(٣) غريب الحديث: أبو عبيد: ٢/ ١١ ومسند أحمد: ٢/ ٢٨٦ وسنن أبي داوود: ٤/ ١٩٩.

المفسرين أن يلتمسوا فروقاً خيالية لا وجود لها إلا في أذهانهم للتفرقة بين تلك الألفاظ القرآنية المترادفة)[١] .

ولست أدري كيف يبيح إبراهيم أنيس لنفسه أن يدعي مثل هذا الادعاء، في حين عرف اللغويون العرب أن ثمة فروقاً لغوية بين الألفاظ التي ظاهرها الترادف، فروقاً دقيقة في دلالة هذه اللفظة عن ذلك، مع أن اللفظين يدلان على مجرى دلالي واحد (كالنظر) _ مثلاً _ ففعله (نظر) يدل على عموم النظر بالعين، وثمة مفردات تجري في هذا الوادي الدلالي، ولكنها تختلف اختلافاً دقيقاً عن عموم النظر، نحو: (رمق) و (لحظ) و (لمح) و (حدج) و (حدق) و (تصفح)[٢] .

ومثله فعل (المشي)، فمشى ليس بمعنى: (درج) أو (حبا) أو (حجل) أو (خطر) أو (دلف) أو (هدج) أو (رسف) أو (اختال) أو (تبختر) أو (تخلج) أو (هرول) أو (تهادى) أو (تأود) أو (خطا) أو (سار)[٣]، فكل لفظ من هذه الألفاظ يختلف من حيث جذره، وأصل وصفه الدلالي، وحقيقته عن الآخر اختلافاً بيناً أشار إليه العسكري في (الفروق)[٤]، وتناولته كتب اللغة ومعجماتها، وإذا كان اللغويون يقررون حقيقة وجود فروق لغوية بين المترادفات عموماً، فكيف يمكن الادعاء بأن الترادف قد وقع في ألفاظ القرآن الكريم، مع علمنا بأن القرآن لا تستعمل المفردة إلا بما تستحقه من الدلالة في سياق الآية، بحيث تختلف عنها في آية أخرى، ولذلك ينكر جملة من علماء العرب المتقدمين وجود الترادف في القرآن ومنهم الخطابي: (٣٨٨هـ) في كتابه (إعجاز القرآن)[٥] .

ولعل أنيس لم يدرك - بدقة - أن القرآن حين يأتي بلفظ (الشكر) في آية، ولفظ (الحمد) في آية ثانية، ولفظ (اسلم) مع لفظ: (آمن). ولفظ (يسخر) مع لفظ: (يستهزئ) ولفظ (المطر) مع لفظ (الغيث) ولفظ (الضياء) مع لفظ (النور) أو لفظ (السراج)، ولفظ (الجوع) مع لفظ (المسغبة)، ولفظ (يعلمون) مع لفظ (يشعرون)، ولفظ (جاء) مع لفظ (أتى)، وغيرها من الألفاظ الكثيرة، أقول:

---

(١) دلالة الألفاظ: ٢١٥.

(٢) انظر: فقه اللغة: الثعالبي: ٨٣.

(٣) نفسه: ١٥١.

(٤) انظر: الفروق: العسكري: الصفحات: ٣٤ فما بعد.

(٥) إعجاز القرآن: الخطابي: ٣٦.

لعل أنيس يجهل أن ثمة دلالة خاصة بكل لفظ من هذه الألفاظ في الأصل، ثم دلالة سياقية تفرضها الحالة التي استعملت فيها، والظرف الذي نزلت فيه.

ولقد كان الجاحظ: (٢٥٥هـ) لحظ ذلك في استعمالات القرآن حين أشار إلى أن الله تعالى لم يذكر (الجوع) إلا في المواطن التي فيها عقاب، أو فقر مدقع، ولكنه سبحانه ذكر (المسغبة) في موضع ليس فيه مثل تلك المعاني[١].

وأشار ابن قتيبة: (٢٧٦هـ) إلى أن بعضهم لا يفرق بين (الخائن) و (السارق)، وعنده أن (الخائن) هو الذي يؤتمن على شيء، فيأخذ منه فيخون، في حين يأتي معنى (السارق) للذي: يسرق سراً[٢]، وكذا الفرق بين (الحمد) و (الشكر) واختلاف دلالتيهما[٣].

والفرق بين (انفجرت) و (انبجست) فحين ينظر القارئ إلى المعنيين اللذين جاءت الكلمتان فيهما يجد أن (فانبجست)[٤] فيها دلالة الماء القليل، في حين جاءت (فانفجرت)[٥] دالة على الماء الكثير[٦]، وحين ننظر إلى القرينة الملازمة لآية (البقرة)، نجد قوله تعالى: (كلوا واشربوا)، فأورد الفعل: (واشربوا)، للدلالة على الماء الكثير، في حين لم ترد في آية (الأعراف) ما يدل على كثرة الماء، فلم يقرن الآية بالفعل: (واشربوا)[٧] واكتفت الآية بـ(كلوا).

والقرآن الكريم يميز في كثير من آياته بين لفظة ولفظة، حين يعطي مدلولها الدقيق في داخل سياق آية واحدة، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[٨]، فقد ميز بين (آمن) و (أسلم) وبين أن (الإيمان) هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس ـ و(الإسلام): الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين

---

(١) البيان والتبيين: ١/٢٠.
(٢) أدب الكاتب: ٢١.
(٣) نفسه: ٣٧.
(٤) الأعراف: ١٦٠.
(٥) البقرة: ٦٠.
(٦) معترك الأقران: ١/٨٧.
(٧) درة التنزيل: الإسكافي: ١٤.
(٨) الحجرات: ١٤.

بإظهار الشهادتين . . . فما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب ، فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلب اللسان ، فهو إيمان)[١] . وهذا ما أقرته معجمات اللغة[٢] .

ونحو قوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل . . . ﴾[٣] . فقد جعل (ضياء) للشمس : لأنها أصل الإضاءة ومبعث التنوير للكائنات ، في حين كان (النور) جزءاً من الضياء ومن آثار الضياء ، يقول الزمخشري : (والضياء أقوى من النور)[٤] . وكذلك التمييز بين (السراج) و (النور) ففي نحو قوله تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجاً ﴾[٥] .

فجعل الأصل في الإنارة والضياء للشمس ، فأخبر عنها بأنها : (سراج) وأبقى معنى التنوير للقمر .

فهذا تفريق دقيق ، لا يفطن إليه إلا الراسخ المتبحر في اللغة العارف بأسرارها ودقائقها ، ومن هنا كانت بلاغة القرآن ، وروعة أسلوبه ، وجودة فصاحته ، ونهاية إعجازه .

والذي يتتبع الآيات التي جاءت بلفظ (الغيث) ويقرنها بالآيات التي وردت فيها لفظة (المطر) يظن أن القرآن استعمل الترادف فيها ، وذلك أمر بعيد عن واقع الاستعمال القرآني وسياقات آيه .

فقد ورد لفظ (الغيث) ثلاث مرات ، وذلك في (لقمان)[٦] قوله تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام . .) .

---

(١) الكشاف: ٣٧٦/٤.

(٢) اللسان: (أسلم) و (آمن) وكذا المجمل والمقاييس والمختار.

(٣) يونس: ٥.

(٤) الكشاف: ٣٢٩/٢.

(٥) نوح: ١٦.

(٦) لقمان: ٣٤.

وفي (الشورى) قوله تعالى: ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾[١] . وفي سورة (الحديد) قوله تعالى: ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفراً﴾[٢] .

في حين ورد لفظ (المطر) و (أمطر) و (ممطر) خمس عشرة مرة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾[٤]، وقوله جل وعلا: ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾[٥]، وقوله سبحانه: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾[٦] وكذا سائر الآيات الأخرى، فإنها جميعاً تؤكد ظاهرة دلالية واضحة، وهي أن لفظ (مطر) ومشتقاته يصاحبه معنى العقاب والسوء والشدة على الأقوام المخالفة لأمر الرب سبحانه والمعاندة لأنبيائه والمرسلين، وليست الآيات التي ذكر فيها لفظ (الغيث) تحمل هذه الدلالات، بل هي في سياق الإغاثة والرحمة، والإنبات مما ينفع الناس، وهذا ما تنبه له علماؤنا المتقدمون، ونبهوا عليه[٧]، يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ أي بركات الغيث ومنافعه، وما يحصل به من الخصب، وعن عمر _ رضي الله عنه _ أنه قيل له: اشتد القحط وقنط الناس، فقال: مطروا إذاً. . .)[٨] فقرن عمر - رضي الله عنه - بين اشتداد القحط والمطر، لأن هذا هو المعروف في لسان العرب.

والقرآن الكريم تختلف استعمالاته للمادة اللغوية الواحدة ومشتقاتها بحسب السياقات، والأغراض والمعاني التي يرمي إليها في كل آية من آياته، فلقد ورد الفعل (أتى) ومشتقاته في أكثر من خمسمائة وخمسين آية، في استعمالات

---

(١) الشورى: ٢٨.
(٢) الحديد: ٢٠.
(٣) النساء: ١٠٢.
(٤) الشعراء: ١٧٣ والنمل: ٥٨.
(٥) الحجر: ٧٤.
(٦) الاعراف: ٨٤.
(٧) انظر: البيان والتبيين: ١/ ٢٠.
(٨) الكشاف: ٤/ ٢٢٤.

دلالية مختلفة بين معنى الحضور، والقدوم، والوقوع والحدوث والإعطاء، والإيفاء، والكينونة والغاية والرجوع وغير ذلك من المعاني والدلالات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾[1]، قيل في معناه: (حيث كان)[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾[3]. قال الزجاج (٣١٠هـ): يعني: (يرجعكم إلى نفسه)[4] ومنه قوله عز وجل: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[5] فجاء اللفظ (أتى) بدلالة قرب الوقوع والحدوث، يقول الزمخشري: (كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر، استهزاءًا وتكذيباً بالوعد فقيل لهم: (أتى أمر الله) الذي هو بمنزلة الآتي) الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه، (فلا تستعجلوه)[6] ولم يستعمل القرآن في ذلك لفظ (جاء) المرادف (لأتى) في حين استعمل القرآن لفظ (جاء ومشتقاته) في آيات أخر، وبدلالات أخر تختلف عن دلالات (أتى) اختلافاً جوهرياً، وقد زادت على مئتين وخمسين استعمالاً تدل كلها على خصوصيات دلالية، تتعلق بأحكام وأغراض متنوعة قصد إليها القرآن الكريم، ولا تلتقي بشيء مما دلت عليه مادة (أتى) ومشتقاتها.

فمن الدلالات التي تحملها مادة (جَيَأ) التي فعلها الماضي (جاء): الغلبة والحضور والإتيان والمقابلة والموافقة والإلجاء، والحالة والصيرورة، والتلقي والقبول، ومن تلك الاستعمالات القرآنية قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان﴾[7].

فجاء الفعل (جاءتها) بمعنى: (تلقتها) كما يقول الزمخشري[8].

---

(١) طه: ٦٩.

(٢) اللسان: (أتى): ج١٨/ص١٤.

(٣) البقرة: ١٤٨.

(٤) اللسان: ١٨/١٥.

(٥) النحل: ١.

(٦) الكشاف: ٢/٥٩٢.

(٧) يونس: ٢٢.

(٨) انظر: الكشاف: ٢/٣٣٩.

ودل الفعل : (جاءهم) على الإحاطة والشمول ، ولذلك جاء بعده : ﴿ وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين﴾ ومن معانيها الورود والتبليغ ، قال تعالى : ﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[١] وقوله تعالى : (في هذه) يعني السورة ، أو الأنباء التي يقصها الله على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢] والمعنى : بلغك ما نقص عليك من أنباء الرسل الذين سبقوك .

ولقد جاء معناها الحضور والحينونة ، في قوله تعالى : ﴿ ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾[٣] ، أي : قضاه الله وحكم بانتهاء العمر ، وقد وردت لفظة «يأتي» في السورة نفسها في قوله تعالى : ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾[٤] ، قال الزمخشري : يعني : (من قبل أن يرى دلائل الموت ، ويعاين ما ييئس منه من الإمهال »[٥] ، فالإتيان هنا ، بمعنى الأمارات والعلامات التي تتراءى للذي حانت ساعته .

فأنت لا ترى لتلك المترادفات المزعومة عند من يدعي وجود الترادف في القرآن ، مكاناً ، بل ترى أن المفردة الواحدة ذات دلالة خاصة ، لا تتفق مع مفردة أخرى تحمل قريباً من دلالتها ، أو قد ترادفها فعلاً ، في عرف المعجميين والمعنيين باللغة ، ولكن الاستعمال القرآني قد أضفى عليها في مواضع من آياته دلالات مختلفة ، بحسب ما يتطلبه النظم القرآني وأساليب التعبير ، وصور البلاغة ، وبذلك تحقق الإعجاز الذي لم يستطع العرب ، وهم أهل اللغة الإتيان بمثله ، ولا بسور مثله .

وترى ـ أيضاً ـ أن المادة الواحدة ذات الدلالة المعجمية ، أو الدلالة الأصلية في حقيقتها قد تلونت ، وتنوعت بمعان ودلالات لا حصر لها في سياقات وتراكيب وحالات مختلفة في كتاب الله ، جرياً على ما تتطلبه الأحكام والتشريعات والأساليب التعبيرية المناسبة لها ، فكانت صوراً إعجازية أخرى تسند ما سبق ذكره

---

(١) هود : ١٢٠.

(٢) الكشاف: ٢/٤٣٨-٤٣٩.

(٣) المنافقون: ١١.

(٤) الآية ١٠ من السورة.

(٥) الكشاف: ٤/٥٤٤.

فكان قوله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾[1] رداً فصلاً على الزاعمين المبطلين كل ادّعاء لا يستند إلى العلم والحقيقة القرآنية.

(١) الإسراء: ٨٨.